بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ:07/03/2008 الشيخ الطبيب محمد خير الشعال

((سلسة قوانين القرآن))

((البقاء للأنفع))

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله خير نبي اجتباه وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ولو كره المشركون ولو كره من كره، اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعة الله، وأذكركم بالموت. فإن الموت باب وكل الناس داخله يا ليت شعري بعد الباب ما الدارُ .

إن الموت تخطانا وذهب إلى غيرنا وغداً سيتخطى غيرنا ويأتي إلينا، فنحن عما قريب أيها الإخوة ذاهبون إلى دار ليس فيه إلا الحسنات والسيئات، ليس هناك إلا تقوى الله نحن في دار عمل لا حساب فيها وغداً قادمون على دار حساب لا عمل فيها فقدموا لأنفسكم

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) [الزلزلة]

ثم أستفتح بالذي هو خير ، يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل :

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137) ﴾[آل عمران]

وقال الله تعالى : ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43) ﴾[فاطر]

نحن في الخطبة العاشرة من سلسلة السنن الإلهية في القرآن أو قوانين القرآن .

في القرآن قوانين، نواميس، سنن إلهية تحكم العالم قاطبة، لا تتبدل ولا تتغير ولا تتغير ولا تحابي أحداً لأن الذي شرعها رب العالمين .

ونحن إذا قرأنا قوانين القرآن الكريم، إذا فهمناها، إذا عملنا بمقدماتها حصدنا نتائجها، لذلك كانت هذه السلسلة السنن الإلهية في القرآن .

تحدثنا لماذا هذه السلسلة؟ وتكلمنا عن السنن الإلهية في التغيير، وعن السنن الإلهية في النصر، وعن السنن الإلهية في الابتلاء، وعن السنن الإلهية في الهداية والضلال، وعن السنن الإلهية في الإيمان والعمل الصالح، وعن السنن الإلهية في الذنوب والسيئات، وفي الظلم والظالمين، وفي الحياة الطيبة والمعيشة الضنك .....

وعنوان خطبة اليوم : **البقاء للأنفع .**

هذه سنة إلهية وقانون رباني أن الأكثر نفعاً هو الأطول بقاءً، أن البقاء للأنفع.

جاء هذا القانون في قول الله تعالى في سورة الرعد الآية 17 في المقطع الأخير من الآية :

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (17)﴾ [الرعد]

الزبد: هو الخبث الذي يظهر على وجه الماء في السيل وكذلك يظهر على وجه القدر إذا أذيبت فيه المعادن.

إذا صهرنا المعادن في قدر يطفو على وجه السائل المعدني المذاب خبث، زبد .

يذهب جفاءً يعني: ضائعاً، متفرقاً، باطلاً، والجفاء: هو ما رمى به الوادي من الزبد والقدر إلى جنباته، والآية رقم 17 كاملة في سورة الرعد تقول :

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (17)﴾ [الرعد]

ومعنى الآية: أنزل الله من السحاب مطراً فجرى ماء الأودية بقدر حجم الوادي واتساعه فرفع السيل فيما جرف معه غثاءً و رغوةً طافيةً عاليةً فوق الماء. وبعض المعادن التي يوقدون عليها ليصهروها في النار من فلزات الحديد والنحاس والذهب والفضة لصناعة الحلي والآلات لها زبد مثل زبد السيل وهو خبث هذه الفلزات المعدنية .

هذان المثلان المذكوران مَثَلُ السيل الذي فوقه الزبد ومَثَلُ المعادن المنصهرة التي يعلوها الزبد هما مثل الحق والباطل وأهلهما .

فأما الزبد الطافي فيزول مرمياً، وأما ما ينفع الناس من الماء والمعادن والحق فيبقى في الأرض زماناً وينتفع به أهلها.

فالباطل كالزبد فوق الماء يذهب ويتبدد، والحق يبقى في الأرض كالماء والمعدن الصافي ينتفع منه الناس .

فالقانون يقول: الباطل وإن علا فإنه سيضمحل، ويقول: للباطل صولة وللحق دولة. ويقول: ما كان لله يبقى ويدوم وما كان لغير الله يذهب ويزول.

حدث مرة أن التقى الحق بالباطل،فقال الباطل للحق: أنا أقوى منك، قال الحق: أنا أثبت منك، قال الباطل: أنا أسرع منك ظهوراً، قال الحق : لكني أطول منك بقاءً، قال الباطل : سأقتلك، قال الحق: لكن أبنائي سيقتلونك . **البقاء للأنفع** .

أيها الإخوة مرت حقبة على الناس اعتقدوا فيها ولعل بعضهم لا يزال يعتقد إلى اليوم أن البقاء للأقوى .الأقوى مالاً هو الذي سيبقى هكذا اعتقدوا وبعضهم لا يزال إلى اليوم يعتقد هذا، الأقوى سلاحاً هو الأبقى، الأقوى علماً هو الأبقى، الأقوى إعلاماً هو الذي سيبقى، لكن القرآن يخطئهم جميعاً ويقول أن الذي ينفع الناس هو الذي يمكث في الأرض البقاء للأنفع في القرآن الكريم .

والناس عامة في الأرض لا يتبعون إلا قوياً أو نبياً.أما أتباع الأقوياء فيذهبون. أين أتباع الأكاسرة؟ ذهبوا, أتباع القياصرة، أتباع الملوك، أتباع الألوية، أتباع الأقوياء يذهبون، وأما أتباع الأنبياء فباقون, لأن البقاء للأنفع .

عندما ظهرت نظرية التطور في القرن التاسع عشر في كتاب صاحبها عالم الطبيعة داروين كان اسم الكتاب أصل الأنواع ذكرت النظرية :

أن منشأ جميع الأحياء من أصل واحد، وأن الحياة جاءت صدفة، وأن في الطبيعة صراع لأجل البقاء، وأن الأقوى هو الذي يبقى وأن الأضعف ينبغي أن يزول أو يزال، وأنه لا يوجد خلق ولا إله.

ومرت الأيام وجاء هيغل الألماني وهو من رموز التطوريين فأشار وفقاً لنظرية التطور والبقاء للأقوى أنه ينبغي قتل جميع الأطفال المولودين عاجزين وينبغي قتل جميع المرضى المزمنين بدون رحمة لأن هؤلاء يعيقون المجتمعات وتطورها .

يقول هيغل في أحد كتبه: مئات آلاف المرضى الذين يستحيل شفائهم مثلاً المرضى العقليين، المجذومين، مرضى السرطان، -والكلام له- يبقون على قيد الحياة بشكل اصطناعي لكن هذا لا يأتي لهم أو لعامة المجتمع بأية فائدة، للتخلص من هؤلاء الرديئين يجب إعطاء هم سماً فعالاً سريعاً بقرار لجنة مسئولة ومراقبتها . لأن البقاء للأقوى فالضعاف لا ينبغي أن يبقوا على هذه الأرض.

وبالفعل أقر هتلر فكرة هيغل وقتل آلاف البشر من هؤلاء .

ومرت الأيام وجاء العلم لينقض نظرية التطور وكلما تقدم العلم انهارت أجزاء هذه النظرية لكن بقي القرار الإلهي والقانون الرباني أن البقاء للأنفع وليس للأقوى، فالبقاء للأنفع أيها الأخوة قانون عام .

ففي المبادئ والشرائع البقاء للأنفع .

فقد مرت على هذه الأرض فلسفات ومبادئ وأفكار لا يحصيها عداً إلا الله، المزدكية والمانوية والقرامطة والملاحدة والفاشية والماسونية والشيوعية والليبرالية والإباحية والرأسمالية والوجودية والديمقراطية الأمريكية ديمقراطية السحق والحرق..

ذهب كثير من هذه المبادئ جفاءً لأنه زبد، وبعضها آيل للسقوط والذهاب لأنه لم ينفع الناس ولن ينفعهم ، وحده الإسلام بقي ماكثاً في هذه الأرض .

مع كل العداء الذي كان والعداء الذي ترون، مع كل هذا التكالب، مع كل هذا الضرب، هذا القتل، هذا التقطيع للمسلمين لا يزال الإسلام ماكثاً في الأرض، لأنه جاء لينفع الناس ليسعدهم في الدنيا وفي الآخرة.

لقد ألف سلطان العلماء العز بن عبد السلام كتاباً مؤلفاً من مجلدتين جاوز الستمائة صفحة سماه **قواعد الأحكام في مصالح الأنام** تحدث فيه أن الشريعة كلها تدور على قاعدة واحدة هي جلب المصالح ودرء المفاسد . الشريعة كلها تدور على جلب المنافع للناس ودفع المضار عنهم .

فربنا عندما حرم الخمرة المسكرة, الربا, الزنا, عقوق الوالدين, الشرك بالله, وسائر المحرمات حرمها لأنها تجلب ضرراً .

وربنا عندما فرض الصوم والزكاة والعلم والذكر والصلاة وسائر المفروضات فرضها لأنها تأتينا بمنافع كثيرة .

الشريعة كلها الإسلامية قائمة على جلب المصالح وعلى درء المفاسد، البقاء للأنفع قانون عام في المبادئ والشرائع .

في التجارات والصناعات البقاء للأنفع .

التاجر الذي يسافر إلى الصين ليستورد منها سلعاً ظاهرها الجمال وباطنها العطب ظاناً سيربح ربحاً وافراً هذا الرجل سيربح اليوم لكنه سيخسر غداً، لأن البقاء للأنفع، سيضرب اسمه وسمعته ولن يورث أولاده إلا أن يقول الناس: كان أبوكم غشاشاً. البقاء للأنفع .

ولو جاءنا ببضائع ظاهرها وباطنها الإتقان لربح الآن ولربح غداً ولربح أولاده من اسمه ولربح أحفاده من اسمه .

كم من شركة تجارية أو صناعية اليوم يعمل الأبناء فيها بأسماء أجدادهم لأن الأجداد نفعوا فبقي الاسم محفوظاً في هذه البلدة وفي التجارة وبقوا هم النافعون .

وكم من تاجر استعجل الربح حتى لو جاء بما هو ضار فخسر اسمه وخسر أولاده من بعده .

كذلك في الصناعة البقاء للأنفع .

أنا أعتقد أن الصناعي الذي يتجه نحو الصناعات التي تنفع الناس سيبني له ولأولاده ولأحفاده من بعده اسماً يربحه ويربحهم في الأرض وفي السماء .

بينما الذي يتجه نحو الصناعات الحاوية على ضرر وإن كان في ظاهرها الربح الكبير لكنه زبد يزول عما قريب .

فمثلاً صانعو المشروبات الغازية لو استبدلوا بها صناعة العصائر الطبيعية لكان خيراً لهم وخيراً للناس .

لأن الناس عاجلاً أم آجلاً سيدركون ضرر هذه المشروبات الغازية وسيلفظونها وستتوقف تلك المصانع وسيتجه الناس نحو الأنفع . فلو اتجه الصناعي بداية نحو الأنفع لكان له البقاء الأطول .

منتجو أطعمة الأطفال لو توجهوا بصناعاتهم نحو الأغذية الطبيعة كالبطاطا والذرة والحمص والفستق وقصب السكر ونحوها فإنه خير لهم ولأولادنا من الأطعمة المهدرجة والملونة والمنكهة بالكيميائيات، لأن الناس عاجلاً أم آجلاً سيتركون الزبد وسيذهبون نحو النفع، والقانون يقول البقاء للأنفع .

البقاء للأنفع قانون عام في الأدب والفنون .

فالروايات الهابطة، والشعر البذيء، والأغاني الساقطة، والموسيقى المزعجة، والمسلسلات الضارة غير النافعة ... هذه زبد سيذهب جفاءً عاجلاً أم آجلاً .

ولو استبدلت بها روايات أدبية، وشعر نضالي وفكري رصين، وأناشيد وطنية وأخلاقية، ومسلسلات عفيفة تربوية وأخلاقية....لكان خيراً للأدب وخيراً للفن وخيراً للناس ولأن البقاء للأنفع . البقاء للأنفع قانون عام .

ففي الحرف والمهن اليدوية البقاء للأنفع ..في مناهج التربية والتعليم البقاء للأنفع ...في العلم والحكم البقاء للأنفع ...في كل شؤون الحياة البقاء للأنفع ...

يا أيها الإخوة هذا قانون لا يتغير ولا يتبدل ﴿ . .فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ . . (17) ﴾ [الرعد]

في نهاية هذه الخطبة ما المطلوب منك ؟ المطلوب أمران :

الأول :اعمل ما استطعت في النافعات.

أين ما كنت، وحيث ما اتجهت، وأين ما فكرت توجه إلى النافعات .

ابحث عن العلم النافع .كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :((اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع)) [مسلم] ابحث عن العلم النافع ..

ابحث عن العمل النافع. إذا أردت أن تعمل أن تتاجر، أن تزارع، أن تساقي، أن تصانع ابحث عن الشيء الذي ينفع الخلائق فتكسب في الأرض وتكسب في السماء ...

ابحث عن الصديق النافع. ابحث عن المجلس النافع وهكذا ....أينما كنت ما استطعت اعمل في النافعات ...

المطلوب الثاني : مهما استطعت أن تنفع الناس فافعل .

فأنت كبير كلما نفعت الآخرين وكلما قل نفعك قل حجمك عند الله تعالى .

إن نفعك للآخرين سيجعل لك ذخراً في الأرض وذخراً في السماء .

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل)) [مسلم]

أو كما قال .أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين , أستغفر الله .